

التمسح بالأبواب والجدران والشبابيك في المسجد الحرام والمسجد النبوي بدعة

لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة المكرم الشيخ
محمد واعظ زادة الخراساني منحني الله وإياه الفقه في الدين،
وأعاذنا جميعاً من طريق المغضوب عليهم والضالين آمين .

سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد :

فقد وصلني كتابكم وصلكم الله بحبل الهدى والتوفيق،
وجميع ما شرحتم كان معلوماً .

وقد وقع في كتابكم أمور تحتاج إلى كشف وإيضاح، وإزالة
ما قد وقع لكم من الشبهة عملاً بقول النبي ﷺ : « الدين
النصيحة »^(١) . وقوله ﷺ : « من دلّ على خير فله مثل أجر
فاعله »^(٢) . وغيرهما من الأحاديث الكثيرة في هذا الباب .

وقد أرشد إلى ذلك مولانا سبحانه في قوله عز وجل :
﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾^(٣) ، وقوله سبحانه : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ

(١) رواه مسلم في : « كتاب الإيمان » برقم ٨٢ .

(٢) رواه مسلم في : « كتاب الإمامة » برقم ٣٥٠٩ .

(٣) سورة المائدة، الآية ٢ .

رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَّهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿١﴾ .

فأقول : ذكرتم في كتابكم مانصه : (ومع احترامي وتقديري لجهودكم في هذا السبيل خطر بيالي بعض الملاحظات، أحببت أن أביدها لكم راجياً أن يكون فيها خير الإسلام والمسلمين، والاعتصام بحبل الله المتين في سبيل تقارب المسلمين، ووحدة صفوفهم في مجال العقيدة والشرعية .

أولاً : لاحظتكم تعبرون دائماً عن بعض ما شاع بين المسلمين من التبرك بآثار النبي ﷺ، وبعض الأولياء كمسح الجدران، والأبواب في الحرم النبوي الشريف وغيره شركاً وعبادة لغير الله . وكذلك طلب الحاجات منه ومنهم، ودعاؤهم وما إلى ذلك . إني أقول : هناك فرق بين ذلك، فطلب الحاجات من النبي ومن الأولياء، باعتبارهم يقضون الحاجات من دون الله أو مع الله، فهذا شرك جلي لا شك فيه، لكن الأعمال الشائعة بين المسلمين، والتي لا ينهاتهم عنها العلماء في شتى أنحاء العالم الإسلامي . من غير فرق بين مذهب وآخر، ليست هي في جوهرها طلباً للحاجات من النبي والأولياء، ولا اتخاذهم أرباباً من دون الله، بل مرد ذلك كله - لو استثنينا عمل بعض الجهال من العوام - إلى أحد أمرين : التبرك والتوسل بالنبي وآثاره، أو بغيره من المقربين إلى الله عز وجل .

أما التبرك بآثار النبي من غير طلب الحاجة منه، ولا دعائه،

فمنشأه الحب والشوق الأكيد، رجاء أن يعطيهم الله الخير، بالتقرب إلى نبيه، وإظهار المحبة له، وكذلك بآثار غيره من المقربين عند الله .

وإني لا أجد مسلماً يعتقد أن الباب والجدار يقضيان الحاجات، ولا أن النبي أو الولي يقضيها، بل لا يرجو بذلك إلا الله، إكراماً لنبيه، أو لأحد من أوليائه، أن يفيض الله عليه من بركاته . والتبرك بآثار النبي كما تعلمون ويعلمه كل من اطلع على سيرة النبي ﷺ، كان معمولاً به في عهد النبي، فكانوا يتبركون بماء وضوئه، وثوبه وطعامه وشرابه وشعره . وكل شيء منه، ولم ينههم النبي عنه، ولعلكم تقولون : أجل كان هذا، وهو معمول به الآن بالنسبة إلى الأحياء من الأولياء والأتقياء لكنه خاص بالأحياء، دون الأموات لعدم وجود دليل على جوازه إلا في حال الحياة بالذات فأقول : هناك بعض الآثار تدل على أن الصحابة قد تبركوا بآثار النبي بعد مماته، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان يمسح منبر النبي تبركاً به .

وهناك شواهد على أنهم كانوا يحتفظون بشعر النبي، كما كان الخلفاء العباسيون ومن بعدهم العثمانيون، يحتفظون بثوب النبي تبركاً به، ولا سيما في الحروب، ولم يمنعهم أحد من العلماء الكبار والفقهاء المعترف بفقهم ودينهم (انتهى المقصود من كلامكم .

والجواب أن يقال : ما ذكرتم فيه تفصيل :

فأما التبرك بما مسّ جسده عليه الصلاة والسلام من وضوء أو عرق أو شعر ونحو ذلك، فهذا أمر معروف وجائز عند الصحابة رضي الله عنهم، وأتباعهم بإحسان . لما في ذلك من الخير والبركة . وهذا أقرهم النبي ﷺ عليه .

فأما التمسح بالأبواب والجدران والشبابيك ونحوها في المسجد الحرام أو المسجد النبوي، فبدعة لا أصل لها، والواجب تركها لأن العبادات توقيفية لا يجوز منها إلا ما أقره الشرع لقول النبي ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »^(١)، متفق على صحته، وفي رواية لمسلم وعلقها البخاري رحمه الله في صحيحه جازماً بها : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد »^(٢) .

وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه، قال كان النبي ﷺ يقول في خطبته يوم الجمعة : « أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة »^(٣) والأحاديث في ذلك كثيرة .

فالواجب على المسلمين التقيد في ذلك بما شرعه الله كاستلام الحجر الأسود وتقبيله، واستلام الركن اليماني .

(١) رواه البخاري في : « كتاب الصلح » برقم ٢٤٩٩، ومسلم في : « كتاب الأفضية » برقم ٣٢٤٢ . واللفظ متفق عليه .

(٢) رواه البخاري في : « البيوع » باب : « النجش »، ومسلم في : « كتاب الأفضية » برقم ٣٢٤٣ . واللفظ له .

(٣) رواه مسلم في : « كتاب الجمعة » برقم ١٤٣٥ .

ولهذا صح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لما قبل الحجر الأسود : (إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك)^(١).

وبذلك يُعلم أن استلام بقية أركان الكعبة، وبقية الجدران والأعمدة غير مشروع لأن النبي ﷺ لم يفعله، ولم يرشد إليه ولأن ذلك من وسائل الشرك . وهكذا الجدران والأعمدة والشبابيك وجدران الحجرة النبوية من باب أولى لأن النبي ﷺ لم يشرع ذلك ولم يرشد إليه ولم يفعله أصحابه رضي الله عنهم .

وأما ما نُقِلَ عن ابن عمر رضي الله عنه، لم يوافقه عليه أبوه ولا غيره من أصحاب النبي ﷺ، وهم أعلم منه بهذا الأمر، وعلمهم موافق لما دلت عليه الأحاديث الصحيحة . وقد قطع عمر رضي الله عنه الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ في الحديبية لما بلغه أن بعض الناس يذهبون إليها ويصلون عندها؛ خوفاً من الفتنة بها، وسداً للذريعة .

وأما دعاء الأنبياء والأولياء والاستغاثة بهم والنذر لهم ونحو ذلك فهو الشرك الأكبر وهو الذي كان يفعله كفار قريش مع أصنامهم وأوثانهم، وهكذا بقية المشركين يقصدون بذلك أنها تشفع لهم عند الله، وتقربهم إليه زلفى، ولم يعتقدوا أنها هي التي تقضي حاجاتهم وتشفي مرضاهم وتنصرهم على عدوهم، كما بيّن

(١) رواه البخاري في : « كتاب الحج » برقم ١٤٩٤ واللفظ له، ورواه مسلم في : « كتاب الحج » برقم ٢٢٣٠ .

الله سبحانه ذلك عنهم في قوله سبحانه : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (١)،
فرد عليهم سبحانه بقوله : ﴿ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٢).

وقال عز وجل في سورة الزمر : ﴿ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۚ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ (٣) فأبان سبحانه في هذه الآية الكريمة : أن الكفار لم يقصدوا من آلهتهم أنهم يشفون مرضاهم، أو يقضون حوائجهم وإنما أرادوا منهم أنهم يقربونهم إلى الله زلفى، فأكذبهم سبحانه ورد عليهم قولهم بقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ سماهم كذبة وكفاراً بهذا الأمر .

فالواجب على مثلكم تدبر هذا المقام وإعطاءه ما يستحق من العناية . ويدل على كفرهم - أيضاً - بهذا الاعتقاد قوله سبحانه : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٤) فسامهم في هذه الآية كفاراً وحكم عليهم بذلك لمجرد الدعاء لغير الله من الأنبياء والملائكة والجن وغيرهم .

(١) سورة يونس، الآية ١٨ .

(٢) سورة يونس، الآية ١٨ .

(٣) سورة الزمر، الآيتان ٢ - ٣ .

(٤) سورة المؤمنون، الآية ١١٧ .

ويدل على ذلك أيضاً قوله سبحانه في سورة فاطر :
﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُم لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ١٣ ﴾ ^(١) إِنَّ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ ﴿١٤﴾ ^(٢)
فحكم سبحانه بهذه الآية على أن دعاء المشركين لغير الله، من الأنبياء والأولياء، أو الملائكة أو الجن، أو الأصنام أو غير ذلك بأنه شرك، والآيات في هذا المعنى لمن تدبر كتاب الله كثيرة .

ونقل لك هنا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى ص ١٥٧ ج ١ ما نصه : (والمشركون الذين وصفهم الله ورسوله بالشرك أصلهم صنفان : قوم نوح، وقوم إبراهيم . فقوم نوح كان أصل شركهم العكوف على قبور الصالحين ثم صوروا تماثيلهم، ثم عبدوهم، وقوم إبراهيم كان أصل شركهم عبادة الكواكب والشمس والقمر وكل من هؤلاء يعبدون الجن، فإن الشياطين قد تخاطبهم، وتعينهم على أشياء، وقد يعتقدون أنهم يعبدون الملائكة، وإن كانوا في الحقيقة إنما يعبدون الجن، فإن الجن هم الذين يعينونهم، ويرضون بشركهم قال الله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ ^(١) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴾ ^(٢) .

(١) سورة فاطر، الآيتان ١٣، ١٤ .

(٢) سورة سبأ، الآيتان ٤٠، ٤١ .

والملائكة لا تعينهم على الشر، لا في المحيا ولا في الممات، ولا يرضون بذلك، ولكن الشياطين قد تعينهم وتتصور لهم في صور الآدميين، فيرونهم بأعينهم ويقول أحدهم : أنا إبراهيم أنا المسيح، أنا محمد أنا الخضر أنا أبو بكر أنا عمر، أنا عثمان أنا علي أنا الشيخ فلان، وقد يقول بعضهم عن بعض هذا هو النبي فلان، أو هذا هو الخضر، ويكون أولئك كلهم جنأ، يشهد بعضهم لبعض، والجن كالإنس فمنهم الكافر، ومنهم الفاسق، ومنهم العابد الجاهل، فمنهم من يحب شيخاً فيتزَيَّ في صورته ويقول : أنا فلان، ويكون ذلك في برية ومكان قفر، فيطعم ذلك الشخص طعاماً ويسقيه شراباً أو يدلّه على الطريق أو يخبره ببعض الأمور الواقعة الغائبة، فيظن ذلك الرجل أن نفس الشيخ الميت أو الحي فعل ذلك، وقد يقول : هذا سر الشيخ وهذه رقيقته، وهذه حقيقته، أو هذا ملك جاء على صورته، وإنما يكون ذلك جنياً، فإن الملائكة لا تعين على الشرك والإفك، والإثم والعدوان .

وقد قال الله تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ ﴿٥٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ (١) .

قال طائفة من السلف، كان أقوام يدعون الملائكة

(١) سورة الإسراء، الآيتان ٥٦، ٥٧ .

والأنبياء؛ كالعزيز والمسيح، فبيّن الله تعالى أن الملائكة والأنبياء عباد الله . كما أن الذين يعبدونهم عباد الله، وبيّن أنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه، ويتقربون إليه كما يفعل سائر عباد الصالحين .

والمشركون من هؤلاء قد يقولون : إنا نستشفع بهم، أي نطلب من الملائكة والأنبياء أن يشفعوا، فإذا أتينا قبر أحدهم طلبنا منه أن يشفع لنا فإذا صورنا تمثاله - والتماثيل إما مجسدة وإما تماثيل مصورة كما يصورها النصارى في كنائسهم - قالوا : فمقصودنا بهذه التماثيل تذكر أصحابها، وسيرهم ونحن نخاطب هذه التماثيل ومقصودنا خطاب أصحابها ليشفعوا لنا إلى الله فيقول أحدهم : يا سيدي فلان، أو يا سيدي جرجس أو بطرس، أو يا ستي الحنونة مريم أو يا سيدي الخليل أو موسى بن عمران أو غير ذلك اشفع لي إلى ربك .

وقد يخاطبون الميت عند قبره : سل لي ربك، أو يخاطبون الحي وهو غائب كما يخاطبونه لو كان حاضراً حياً وينشدون قصائد بقول أحدهم فيها : يا سيدي فلان أنا في حبك أنا في جوارك أشفع لي إلى الله، سل الله لنا أن ينصرنا على عدونا، سل الله أن يكشف عنا هذه الشدة، أشكو إليك كذا وكذا فسل الله أن يكشف هذه الكربة، أو يقول أحدهم : سل الله أن يغفر لي .

ومنهم من يتأول قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ

جَاءُوكَ فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١﴾ ويقولون : إذا طلبنا منه الاستغفار بعد موته كنا بمنزلة الذين طلبوا الاستغفار من الصحابة . ويخالفون بذلك الإجماع من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وسائر المسلمين، فإن أحداً منهم لم يطلب من النبي ﷺ بعد موته أن يشفع له، ولا سألته شيئاً، ولا ذكر ذلك أحد من أئمة المسلمين في كتبهم وإنما ذكر ذلك من ذكره من متأخري الفقهاء، وحكموا حكاية مكذوبة على مالك رضي الله عنه، وسيأتي ذكرها، وبسط الكلام عليها إن شاء الله تعالى .

فهذه الأنواع من خطاب الملائكة والأنبياء والصالحين بعد موتهم عند قبورهم وفي مغيبهم، وخطاب تماثيلهم، هو من أعظم أنواع الشرك الموجود في المشركين، من غير أهل الكتاب، وفي مبتدعة أهل الكتاب والمسلمين الذين أحدثوا من الشرك والعبادات ما لم يأذن به الله تعالى، قال تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ﴾ (٢) . . . إلى آخر ما ذكره رحمه الله في رسالته الجليلة المسماة : « القاعدة الجليلة في التوسل والوسيلة » قد أوضح فيها أنواع الشرك فراجعها إن شئت .

وقال أيضاً - رحمه الله - في رسالته إلى أتباع الشيخ عدي بن مسافر ص ٣١ مانصه : (فصل : وكذلك الغلو في

(١) سورة النساء، الآية ٦٤ .

(٢) سورة الشورى، الآية ٢١ .

بعض المشايخ إما في الشيخ عدي، ويونس القني، أو الحلاج وغيرهم، بل الغلو في علي بن أبي طالب رضي الله عنه ونحوهم، بل الغلو في المسيح عليه السلام ونحوه، فكل من غلا في حي أو في رجل صالح كمثّل علي رضي الله عنه أو عدي أو نحوه، أو في من يعتقد فيه الصلاح كالحلاج أو الحاكم الذي كان بمصر أو يونس القني ونحوهم . وجعل فيه نوعاً من الألوهية مثل أن يقول : كل رزق لا يرزقنيه الشيخ فلان ما أريده، أو يقول إذا ذبح شاة باسم سيدي . أو يعبدّه بالسجود له، أو لغيره أو يدعوه من دون الله تعالى مثل أن يقول : يا سيدي فلان اغفر لي أو ارحمني أو انصرني أو ارزقني أو أغثني أو أجرني أو توكلت عليك أو أنت حسبي أو أنا في حسبك أو نحو هذه الأقوال والأفعال التي هي من خصائص الربوبية التي لا تصلح إلا لله تعالى، فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قُتِل . فإن الله إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب لعبد الله وحده لا شريك له ولا نجعل مع الله إلهاً آخر .

والذين كانوا يدعون مع الله آلهة أخرى مثل الشمس والقمر والكواكب والعزير والمسيح والملائكة واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ويغوث ويعوق ونسرا، وغير ذلك لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق أو أنها تُنزل المطر أو أنها تُنبئ النبات وإنما كانوا يعبدون الأنبياء والملائكة والكواكب والجن والتمائيل المصورة لهؤلاء، أو يعبدون قبورهم، ويقولون إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى . ويقولون هم شفعاؤنا عند الله،

فأرسل الله رسله تنهى أن يدعى أحد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة . قال تعالى : ﴿ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ (١) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿ (١) .

قال طائفة من السلف : كان أقوام يدعون المسيح وعزيراً والملائكة فقال الله لهم : هؤلاء الذين تدعونهم يتقربون إليّ، كما تتقربون ويرجون رحمتي كما ترجون رحمتي ويخافون عذابي كما تخافون عذابي .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴾ (٢) وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴿ (٢) فأخبر سبحانه أن ما يدعى من دون الله ليس له مثقال ذرة في الملك ولا شريك في الملك وأنه ليس له في الخلق عون يستعين به وأنه لا تنفع الشفاعة عنده إلا بإذنه) .

إلى أن قال رحمه الله : (وعبادة الله وحده هي أصل الدين، وهو التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب، فقال تعالى : ﴿ وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ (٣)، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ

(١) سورة الإسراء، الآيتان ٥٦، ٥٧ .

(٢) سورة سبأ، الآيتان ٢٢، ٢٣ .

(٣) سورة الزخرف، الآية ٤٥ .

اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿١﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ ﴿٢﴾ .

وكان النبي ﷺ يحقق التوحيد ويعلمه أمته حتى قال له رجل : ما شاء الله وشئت . فقال : « أجعلني لله نداً بل ما شاء الله وحده » ﴿٣﴾ وقال : « لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد » ﴿٤﴾ ونهى عن الحلف بغير الله تعالى فقال ﷺ : « من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت » ﴿٥﴾ وقال ﷺ : « من حلف بغير الله فقد أشرك » ﴿٦﴾ وقال ﷺ : « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم وإنما أنا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله » ﴿٧﴾ .

ولهذا اتفق العلماء على أنه ليس لأحد أن يحلف بمخلوق كالكعبة ونحوها . ونهى النبي ﷺ عن السجود له، ولما سجد

-
- (١) سورة النحل، الآية ٣٦ .
 (٢) سورة الأنبياء، الآية ٢٥ .
 (٣) رواه أحمد في : « مسند بني هاشم » برقم ١٧٤٢ ، بلفظ : « أجعلني والله عذلاً » . وله بلفظ آخر : « جعلني لله عذلاً » برقم ٢٤٣٠ .
 ولفظه في « فتح المجيد شرح كتاب التوحيد » : « أجعلني لله نداً » .
 (٤) رواه الدارمي في : « الاستئذان » برقم ٢٥٨٣ واللفظ له، ورواه ابن ماجه في : « كتاب الكفارات » برقم ٢١٠٩ ، وأحمد في : « مسند البصريين » برقم ١٩٧٧٣ .
 (٥) رواه البخاري في : « الشهادات » برقم ٢٤٨٢ ، وفي : « الأيمان والنذور » برقم ٦١٥٥ .
 ورواه مسلم في : « الأيمان » برقم ٢٤٨٢ واللفظ متفق عليه .
 (٦) رواه أبو داود في : « الأيمان والنذور » برقم ٢٨٢٩ واللفظ له، ورواه الترمذي في : « النذور والأيمان » برقم ١٤٥٥ بلفظ : « فقد كفر أو أشرك » .
 (٧) رواه البخاري في : « كتاب الأنبياء » برقم ٣١٨٩ .

بعض أصحابه له نهى عن ذلك وقال : « لا يصلح السجود إلا لله »^(١) وقال : « لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها »^(٢) وقال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه : « أرأيت لو مررت بقبري أكنت ساجداً له » قال : لا ، قال : « لا ، فلا تسجد لي »^(٣) ونهى النبي ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد وقال في مرض موته : « لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »^(٤) .

إلى أن قال رحمه الله : (ولهذا اتفق أئمة الإسلام على أنه لا يشرع بناء المسجد على القبور ولا تُشرع الصلاة عند القبور ، بل كثير من العلماء يقول الصلاة عندها باطلة) .

إلى أن قال - رحمه الله تعالى - : (وذلك أن من أكبر أسباب عبادة الأوثان كانت تعظيم القبور بالعبادة ونحوها ، قال الله تعالى في كتابه : ﴿ وَقَالُوا لَا نَذَرُ الْهَتَكُ وَلَا نَذَرُ وَدَا وَلَا سَوَاعَا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾^(٥) قال طائفة من السلف : كانت هذه الأسماء لقوم صالحين فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم

(١) رواه أحمد في : « باقي مسند المكثرين » برقم ١٢١٥٣ ، بلفظ : « لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر » . وفي لفظ آخر له برقم ٤١٦٨ : « إنا لا نسجد إلا لله » .

(٢) رواه الترمذي في : « الرضاع » برقم ١٠٧٩ عن أبي هريرة ، ورواه ابن ماجه في : « النكاح » برقم ١٨٤٢ ، وأحمد في مسند الكوفيين برقم ١٨٥٩١ .

(٣) رواه أبو داود في : « النكاح » برقم ١٨٢٨ .

(٤) رواه البخاري في : « الجنائز » برقم ١٣٠١ ، ومسلم في : « المساجد ومواضع الصلاة » برقم ٨٢٥ ، واللفظ متفق عليه .

(٥) سورة نوح ، الآية ٢٣ .

وعبدوها .

ولهذا اتفق العلماء على أن من سلّم على النبي ﷺ عند قبره أنه لا يتمسح بحجرته ولا يقبلها (انتهى المقصود من كلامه رحمه الله .

وقال العلامة ابن القيم - رحمه الله - في الجواب الكافي ص ١٥٦ ما نصه : (فصل : ويتبع هذا الشرك الشرك به سبحانه في الأفعال والأقوال والإرادات والنيات فالشرك في الأفعال كالسجود لغيره، والطواف بغير بيته، وحلق الرأس عبودية وخضوعاً لغيره، وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود الذي هو يمين الله في الأرض، وتقبيل القبور واستلامها والسجود لها، وقد لعن النبي ﷺ من اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد يصلى الله فيها، فكيف بمن اتخذ القبور أوثاناً يعبدونها من دون الله . ففي الصحيحين عنه ﷺ أنه قال : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »^(١)، وفي الصحيح عنه ﷺ : « إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، ومن يتخذ القبور مساجد »^(٢) وفي الصحيح أيضاً عنه ﷺ : « إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك »^(٣) .

وفي مسند الإمام أحمد رضي الله عنه وصحيح ابن حبان

(١) سبق تخريجه .

(٢) رواه أحمد في : « مسند المكثرين من الصحابة » برقم ٣٦٥١ .

(٣) رواه مسلم في : « المساجد ومواضع الصلاة » برقم ٨٢٧ .

عنه ﷺ قال : « لعن الله زوّارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج »^(١). وقال : « اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »^(٢). وقال : « إن من كان قبلكم كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة »^(٣) فهذا حال من سجد لله في مسجد على قبر فكيف حال من سجد للقبر نفسه، وقد قال النبي ﷺ : « اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد »^(٤) انتهى كلامه رحمه الله .

وبما ذكرنا في صدر هذا الجواب، وبما نقلناه عن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وتلميذه العلامة ابن القيم - رحمه الله - يتضح لكم ولغيركم من القراء أن ما يفعله الجهال من الشيعة وغيرهم، عند القبور من دعاء أهلها والاستغاثة بهم والنذر لهم والسجود لهم وتقيل القبور طلباً لشفاعتهم أو نفعهم لمن قبلها . كل ذلك من الشرك الأكبر لكونه عبادة لهم، والعبادة حق لله وحده كما قال الله سبحانه : ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ﴾^(٥)، وقال سبحانه : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾^(٦) الآية .

(١) رواه ابن حبان ٣١٧٩/٧، ٣١٨٠ .

(٢) رواه مالك في الموطأ في : « كتاب النداء للصلاة » برقم ٣٧٦ .

(٣) رواه البخاري في : « الصلاة » برقم ٤٠٩ و ٤١٦، ومسلم في : « المساجد ومواضع الصلاة » برقم ٨٢٢ .

(٤) رواه مالك في الموطأ في : « كتاب النداء للصلاة » برقم ٣٧٦ .

(٥) سورة النساء، الآية ٣٦ .

(٦) سورة البينة، الآية ٥ .

وقال عز وجل : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(١) إلى غير ذلك من الآيات التي سبق بعضها .

أما تقبيل الجدران، أو الشبايبك أو غيرها، واعتقاد أن ذلك عبادة لله، لا من أجل التقرب بذلك إلى المخلوق . فإن ذلك يسمى بدعة لكونه تقرباً لم يشرعه الله فدخل في عموم قول النبي ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »^(٢) وفي قوله ﷺ : « إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة »^(٣) .

وأما تقبيل الحجر الأسود، واستلامه واستلام الركن اليماني فكل ذلك عبادة لله وحده واقتداء بالنبي ﷺ لكونه فعل ذلك في حجة الوداع وقال : « خذوا عني مناسككم »^(٤) وقد قال الله عز وجل : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾^(٥) الآية .

وأما التبرك بشعره ﷺ وعرقه ووضوئه، فلا حرج في ذلك كما تقدم لأنه عليه الصلاة والسلام أقر الصحابة عليه ولما جعل

(١) سورة الذاريات، الآية ٥٦ .

(٢) رواه البخاري في : « الصلح » برقم ٢٤٩٩، ومسلم في : « الأقضية » برقم ٣٢٤٢ واللفظ متفق عليه .

(٣) رواه أبو داود في : « السنة » برقم ٣٩٩١، وأحمد في : « مسند الشاميين » برقم ١٦٥٢٢ .

(٤) رواه البيهقي في : « السنن الكبرى » ١٢٥/٥، وابن عبد البر في : « التمهيد » ٦٩/٢، ٩٠، ٩٨، ٣٣٣/٤، ١١٧/٥، ٢٧٢/٧، وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٦٩/٣، وابن حجر في : « فتح الباري » ٤٩٩/١ .

(٥) سورة الأحزاب، الآية ٢١

الله فيه من البركة، وهي من الله سبحانه، وهكذا ما جعل الله في ماء زمزم من البركة حيث قال ﷺ عن زمزم : « إنها مباركة وإنها طعام طعم وشفاء سقم »^(١).

والواجب على المسلمين الاتباع والتقيد بالشرع، والحذر من البدع القولية والعملية . ولهذا لم يترك الصحابة رضي الله عنهم بشعر الصديق رضي عنه، أو عرقه أو وضوئه ولا بشعر عمر أو عثمان أو علي أو عرقهم أو وضوئهم، ولا بعرق غيرهم من الصحابة، وشعره ووضوئه لعلمهم بأن هذا أمر خاص بالنبي ﷺ ولا يُقاس عليه غيره في ذلك، وقد قال الله عز وجل :

﴿ وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾^(٢).

وقال كثير من الصحابة رضي الله عنهم : اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم .

وأما توسل عمر رضي الله عنه والصحابة بدعاء العباس في الاستسقاء وهكذا توسل معاوية رضي الله عنه في الاستسقاء بدعاء يزيد بن الأسود فذلك لا بأس به لأنه توسل بدعائهما وشفاعتهما ولا حرج في ذلك . ولهذا يجوز للمسلم أن يقول لأخيه : ادع

(١) رواه مسلم في : « كتاب فضائل القرآن » برقم ٤٥٢٠ ، وأحمد في : « مسند الأنصار » برقم ٢٠٥٤٦ بلفظ : « إنها مباركة إنها طعام طعم » .

(٢) سورة التوبة، الآية ١٠٠ .

الله لي وذلك دليل من عمل عمر والصحابة رضي الله عنهم ومعاوية رضي الله عنه على أنه لا يتوسل بالنبى ﷺ في الاستسقاء ولا غيره بعد وفاته ﷺ ولو كان ذلك جائزاً لما عدل عمر الفاروق والصحابة رضي الله عنهم عن التوسل به ﷺ إلى التوسل بدعاء العباس ولما عدل معاوية رضي الله عنه عن التوسل به ﷺ إلى التوسل بيزيد بن الأسود وهذا شيء واضح بحمد الله .

وإنما يكون التوسل بالإيمان به ﷺ ومحبته والسير على منهاجه وتحكيم شريعته وطاعة أوامره، وترك نواهيه . هذا هو التوسل الشرعي به ﷺ بإجماع أهل السنة والجماعة وهو المراد بقول الله سبحانه : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (١) .

وبما ذكرنا يُعلم أن التوسل بجاهه ﷺ أو بذاته من البدع التي أحدثها الناس ولو كان ذلك خيراً لسبقنا إليه أصحاب النبي ﷺ لأنهم أعلم الناس بدينه وبحقه ﷺ ورضي الله عنهم .

وأما توسل الأعمى به ﷺ إلى الله سبحانه في رد بصره إليه فذلك توسل بدعائه وشفاعته حال حياته ﷺ ولهذا شفع له النبي ﷺ ودعا له .

والله المسؤول بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن يمنحني وإياكم وسائر إخواننا الفقه في دينه والثبات عليه وأن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان وأن يمنحهم الفقه في الدين وأن يولي عليهم خيارهم ويصلح قاداتهم وأن يوفق جميع حكام

المسلمين للفقهاء في الدين والحكم بشريعة الله سبحانه والتحاكم إليها وإلزام الشعوب بها والحذر مما يخالفها عملاً بقول الله عز وجل : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ ^(١) ، وبقوله سبحانه : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ ^(٢) إنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(١) سورة النساء، الآية ٦٥ .

(٢) سورة المائدة، الآية ٥٠ .